مجلّة
اللّغة العربيّة وآدابها
رقم الإيداع القانوني: 2013-8004 ISSN: ر.د.م.د: 2352-9830

النقد وتصنيف النص الرحلي الجزائري

د.فايد محمّد

المركز الجامعي –تيسمسيلت/الجزائر

تاريخ الإرسال : 2018/01/02 تاريخ القبول: 25/ 03/ 2018

الملخص:

نهدف من خلال هذا البحث الإشارة إلى تصنيف النص الرحلي الجزائري ، نقصد هاهنا طرائق تحديد اتجاهات الكتابة التي تصنّف ضمن الرحلة/أدب الرحلة وبعبارة أدق تحديد الأنواع/الأصناف الرحلية الفرعية، الّتي تستظلُّ تحت مسمّى الرحلة باعتبارها نمطا كتابيا له تاريخه، وله مقوّماته .

وقبل الحديث عن طرائق تصنيف الرحلة إلى اتجاهات، لا ضَيْر من التّأكيد على أنّ التَّصنيف في دلالته البسيطة، فعل وثيق الصّلة بالحياة الإنسانية، فالإنسان يمارس التَّصنيف مُذ وُجِد.

الكلمات المفاتيح: التصنيف، الرحلة، الأنواع، الأدب الجزائري.

Abstract :

This study attempts to classify Algerian travel text and to identify certain trends and methods of travel literature. What's meant by "classifying" is to categorize the subdivisions of all the texts genres labeled as a "Travel Literature" which is an independent writing style with its own issues and history.

Before tackling the methodology of classifying travel literature trends, it is necessary to ensure that classifying those genresis a simple semantic value related to the sense of humanity. Therefore, the notion of classification is humanitarian act.

Keywords: Classification, Travel, Genres, Algerian Literature

*** *** ***

تصنيف النّص الرحلي .. في ضوء نظريّة الأجناس/الأنواع الأدبية :

إنّ أيّ دراسة تروم تصنيف النتاج الأدبي يجب أن تنطلق من قناعة انتمائها إلى حقل بحثي يسميه النقاد حقل الأجناس الأدبية (الأنواع الأدبية)، أو بعبارة الأخرى نظرية الأجناس/الأنواع الأدبية، وتقوم دراسة كتلك على ضرورة فهم عميق لكلّ ما تعلّق بالجنس الأدبي، فهذا الأخير -كما سيتّضح بعد قليل- كان ولا يزال في صلب اهتمامات الدراسات النقدية حتى تلك الّتي رفضَته.

تُترجم اللفظة Genre بالجنس كما تُترجم بالنوع وتُحيل "في أصولها اللاتينية على معنيي الأصل Genus والولادة"[1]، وسنلاحظ من خلال التعاريف الّتي سنوردها أنّ هذه الأخيرة تشترك في جمعها بين تعريف الجنس الأدبي وتعريف نظرية الأجناس الأدبية، فكلّ بحث في الجنس أو النّوع الأدبي يقتضي ضبط حدوده ومجمل تماساته مع أجناس أخرى، كما يقتضي إعمال آليات معيّنة تمكّن من قراءته في حدوده وفي علائقه وهاهنا يتجلّى فعل التَّصنيف.

استنادا إلى ما ذُكِر نستنتج أنّ "الجنس من أقدم المقولات في الفكر الأدبي، فقد لوحظ مبكّرا امتلاك بعض الأنماط النصية أو الخطابية لبنية خاصة، وارتباطها بهذا الظرف أو ذاك من واقع الحياة واشتراطها على المتلقي موقعا معيَّنا"[2]، وفي هذا تلميح بيّن إلى ما يمارسه التأطير الأجناسي -مثلا- على القارئ إذ يُوجِّهُه إلى إقامة فعله القرائي على المتعارف عليه في الحياة الأدبية، ونقصد بالتأطير الأجناسي الوصف المصاحب للنصوص الأدبية (رحلة،قصة، رواية، شعر، نصوص ...) بغض النظر عن مصدره (المؤلف، الناشر...).

يُعرِّف سعيد علوش الجنس/النوع بقوله : "يُشير النوع إلى طبقة خطاب، يتمُّ التعرُّف عليها بفضل مقاييس اجتماع-لغوية ... والنوع والجنس تنظيم عضوي لأشكال أدبية"[3]، ولعل تلك المقاييس هي الّتي ستؤدّي لاحقا إلى تعدّد أنماط التَّصنيف، وهذا ما يؤكِّده تودوروف في قوله: "إنّ كلّ نوع هو طريقة محدّدة من بناء العمل كلّه والوصول به إلى الاكتمال"[4] فاكتمال نوع/جنس معيَّن لا يمكن أن يتحقّق إلاّ بصورة نسبية لأنّ مقولة

الجنس "مَرِنَة الحدود"[5]، خاصة عندما يتعلق الأمر ببعض الأجناس الأدبية الّتي تستعص على التَّصنيف.

يقوم كلّ بحث في قضايا الجنس الأدبي على علاقة وطيدة مع نظرية الأجناس الأدبية، فهي "المكان الّذي يتحدّد فيه مجال الأدب وتعريفه"[6] والّذي من بين أبرز مكوّناته أنّه نسيج غير مُنْتَه من النتاجات الّتي تمارس فيما بينها حوارية لا تنتهي، إنّ دوغلاس غلوفر Douglas Glover الّذي يربط بين الجنس الأدبي ونظرية الأجناس الأدبية بقوله إنّ "الجنس الأدبي .. ضرب من النماذج"[7]، إنّما يُقرُّ بأصالة البحث في تكوّن وتطوّر الأجناس الأدبية، كيف لا وتلك قضية أثيرة في تاريخ نظرية/نظريات الأدب انطلاقا من إسهامات أفلاطون وإلى أيامنا هذه.

وفي مقابل مصطلح جنس/نوع أدبي Genre Littéraire، يستخدم بعضهم مصطلح جنس/نوع الخطاب Genre de discours[8] للدلالة على دراسات حداثية تُعنى بتصنيف مختلف أنواع الخطاب الأدبي وغير الأدبي.

لن نُفصِّل القول في إسهامات أفلاطون وأرسطو ومن جاء بعدهما (نورثروب فراي، تودوروف ... إلخ) في تصنيف الأجناس الأدبية لأننا نروم التركيز على تصنيف النص الرحلي الجزائري دون غيره، لأنّه موضوع بحثنا الأساس، ولعلّ التساؤل الّذي يفرض نفسه في هذه المحطة من البحث هو : ما هي آليات وطرائق تصنيف النص الرحلي الجزائري من منظور النقد الجزائري؟ وبالطبع لا ندعي هنا قيامنا بدراسة شاملة ودقيقة تلتزم مواضعات نقد النقد، بقدر ما سنحاول وصف بعض المدوّنات النقدية الجزائرية التّي عُني أصحابها بالرحلة، أي أنّ قصارى ما سيجده القارئ لمداخلتنا هذه معرفة أبرز أنواع الكتابات الرحلية الجزائرية استنادا إلى المدوّنات النقدية التي استطعنا الحصول عليها.

تصنيف النص الرحلي في نماذج نقدية جزائرية :

لا ضير من التأكيد أنّنا في هذه المداخلة لا نزعم البتة تقديم دراسة معمّقة، تسبر أغوار المدوّنات النقدية المشتغلة على الكتابات الرحلية الجزائرية، ذلك أنّ ما سنقوم به

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

في الصفحات الآتية ليس إلا قراءة سطحية للدراسات الّتي استطعنا الحصول عليها والّتي اشتغل أصحابها على الرحلة الجزائرية، ونذكر كذلك أنّ ما يهمنا في اشتغالهم ذاك فعلُ التصنيف، ومدى الوعي بأجناسية النصوص الرحلية الجزائرية، والدراسات الّتي نقصد وضع اليد على طريقة تعاملها مع تصنيف النص الرحلي في هذه المداخلة هي:

-عبد الله ركيبي: (تطوّر النثر الجزائري الحديث).

-محمّد مصايف: (النثر الجزائري الحديث).

-عمر بن قينة: (الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية).

-يوسف وغليسي: (في ظلال النصوص-تأمّلات نقدية في كتابات جزائرية).

-أحمد بن هطّال التلمساني: (رحلة الباي محمّد الكبير).

-سميرة انساعد: (الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري من القرن 11 إلى القرن 13 الهجريين).

-محمّد أبو راس الجزائري: (فتح الإله ومنّته في التحدّث بفضل ربي ونعمته).

-غربي شميسة: (السيرة الذاتية في الادب الجزائري القديم).

-غربي شميسة: (من التراث الجزائري: الكتابة الرحلية خلال الفترة العثمانية) مقال.

-زوهري وليد: (الرحلات الحجازية الجزائرية) مقال.

-عيسى بخيتي: (أدب الرحلة الجزائري الحديث) رسالة دكتوراه-جامعة تلمسان.

ونُشير قبل الشروع في رصد تعامل أصحاب هذه الدراسات مع النصوص الرحلية وتصنيفها إلى أنّ التصنيف المضموني هو الأكثر شيوعا في تحديد الأنواع الرحلية الفرعية.

-تصنيف النصوص الرحلية لدى عبد الله ركيبي من خلال كتابه (تطوّر النثر الجزائري الحديث:

يتحدّث عبد الله ركيبي لحظة الاشتغال على الكتابة الرحلية، عن بدايات هذا النمط في الأدب الجزائري الحديث بصنف مخصوص هو (الرحلة الدينية)، أي الرحلة الّتي تكون نتيجتها آداء فريضة الحج، وهو الصنف الّذي تصطلح عليه دراسات نقدية جزائرية كثيرة مصطلح الرحلة الحجازية، ولكنّ ركيبي يضيف إلى نمط الرحلة

الدينية/الحجازية، نمطا آخر هو الرحلة الّتي يهدف صاحبها إلى لقاء شيوخ الطرق الصوفية، يقول:"وقد أسهم الرحالون الجزائريون في عصر الأتراك بمجهودات كثيرة في هذا المجال، ومارس هذا الفن كُتّاب كثيرون ، ولاسيما تلك الرحلات الدينية الّتي كان يقصد منها لقاء شيوخ الطرق الصوفية والاجتماع بهم، أو السفر لأداء فريضة الحج..."[9] أو ما يصطلح عليه الرحلة الحجازية.

يُصرّح ركيبي بالمعايير المعتمدة لديه لحظة التصنيف فيقول "أمّا عن الرحلات الجزائرية في العصر الحديث فهناك العديد منها، ولكنّنا سنتوقّف عند البعض لنلاحظ موضوع كلّ رحلة، وأسلوبها وثقافة الرحالة واهتماماته، ومدى ما قدّمه لنا عن عصره وبيئته"[10] ، وجليّ أنّه قدّم معيار المضمون، وأضاف إليه معيارا خارجا عن النص، الذي يُفترض أن يكون هو المرجع الوحيد والأساس لأيّ حكم عليه، حيث يعتمد ركيبي معيار ثقافة المؤلف وحجم المعلومات الّتي يقدّمها عن العصر والبيئة.

ولكنّ ركيبي عموما، يُقسّم الرحلة إلى صنفين أدبي وتاريخيّ، "هناك رحالة كتبوا رحلات قيّمة بعضها اهتمّ بالتاريخ، وبعضها اهتمّ بالناحية الأدبية، وهي تتفاوت في أسلوبها بطبيعة الحال، فإذا عُني الرحالة بتصوير شعوره لوصف ما شاهد، أو حاول استخلاص فكرة معيّنة فإنّ رحلته حينئذ ترحل في مجال الأدب، لأنّه ينفعل ويتأثّر ويُصوّر لنا هذا من خلال عمله الأدبي، ولكنّه حين يصف الأشياء بنوع من التجرّد فهنا يصبح مؤرّخا لا أديبا، لأنّ حظّ الخيال في رحلته يكون قليلا"[11] ، ثمّ إنّ ركيبي يعتمد معيار الوجهة الّتي يقصدها الرحالة فيشير إلى نوعين:[12]

-رحلات إلى خارج الوطن ويقسمها غلى (رحلات إلى فرنسا، وأخرى إلى أوربا عامة، وأخرى إلى المشرق العربي).

-رحلات إلى داخل الوطن.

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

تصنيف النص الرحلي لدى محمّد مصايف من خلال كتابه (النثر الجزائري الحديث):

لا يُقدّم مصايف في كتابه هذا تصنيفا للنصوص الرحلية الجزائرية، بقدر ما يُحاول التعليق على مُنجز عبد الله ركيبي في تصنيفها، حيث يناقش مصايف المعايير المعتمدة من قِبل ركيبي ساعة صنَّف رحلة أحمد رضا حوحو، يقول:" إنّ تعليق المؤلّف على أسلوب حوحو في هذه الرحلة وإشارته إلى أنّ هذا الأسلوب كان يميل إلى الطابع الصحفي وإلى أنّ الرحلة قيّمة بمضمونها لا بأسلوبها، كلّ ذلك يجعلنا نتساءل أمام الدكتور ركيبي حول الفروق الجوهرية بين كتابة الرحلة والكتابة الصحفية مثلا"[13]، مع ما يستدعيه هذا التعليق من ضرورة أن نذكر أنّ بعض النصوص الرحلية إنّما كتبها رجال صحافة.

تصنيف النص الرحلي لدى عمر بن قينة من خلال كتابه (الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية):

لم نستطع للأسف الحصول على كتابين مهمّين لعمر بن قينة، أحد أبرز النقاد الجزائريين اهتماما بالرحلة، نقصد هنا كتابه (اتجاهات الرحالين الجزائريين في الرحلة الجزائرية الحديثة)، وكتابه (الشكل والصورة في الرحلة الجزائرية الحديثة)، وقد أخذهما عن رسالة الدكتوراه خاصته، وعنوانها (النثر في الرحلة الجزائرية خلال القرن العشرين)، وقد لاحظنا أنّ كتابه (الخطاب القومي في الثقافة الجزائريّة) لا يتضمّن فعلا تصنيفيا صرفا باستثناء حديثه عن الرحلة بوصفها "عملا مدوّنا ذا طابع فكري علمي، بجوانبه التاريخية والجغرافية والاجتماعية والأدبية، وهي جوانب تختلف حظوظها في الرحلات بحسب الكاتب وهدفه وطريقة تعبيره في صياغة رحلته"[14]، وهذا القول يتضمّن أنواع معيّنة قد تصنّف الرحلة ضمنها (التاريخ/الجغرافيا/الاجتماع/الأدب)، بالنظر إلى المهيمنات النصيّة من جهة، ومن جهة أخرى قصد المؤلّف وطريقته في الصياغة.

تصنيف النص الرحلي في تصديرين لأبي القاسم سعد الله:

صنّف أبو القاسم سعد الله ، من خلال التصدير الذي كتبه لنص (رحلة محمّد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري) لصاحبها أحمد بن هطّال

التلمساني، تصنيفا عاما حيث قال "الرحلة تتضمّن أخبارا جغرافية، واجتماعية وسياسية وعسكرية وأدبية، لا يستغني عنها أي دارس للجزائر"[15] خلال تلك المرحلة.

وفي الكلمة الّتي صدّر بها رحلة (فتح الإله ومنته في التحدّث بفضل ربي ونعمته) لأبي راس الناصري، جعل هذه الرحلة رحلة سيرذاتية، فقال "ومهما كان الأمر فإنّ (فتح الإله) كتاب يُقدّم لنا حياة أبي راس نفسه، فهو نوع من السيرة الذاتية، تحدّث فيه المؤلّف عن أهله وبيئته وشيوخه وعلومه وأسفارهومن لقيهم من علماء المغرب والمشرق..."[16] ، ولكنّنا نعتقد أنّ ما قال به سعد الله يتّسم بالعمومية، كون جلّ نصوص الرحلة تنحو هذا المنحى، حيث تتضمّن ملاحظات المؤلّف/المؤلّفين حول حيواتهم، وشيوخهم ومن قابلوه في أسفارهم وحلّهم وترحالهم.

تصنيف النص الرحلي لدى يوسف وغليسي من خلال كتابه (في ظلال النصوص):

يتفرد اشتغال يوسف وغليسي في كتابه (ظلال النصوص) على الرحلة؛ بتناوله لمسألة أجناسية الرحلة، والأمر نفسه يصّح أن يقال عن الدراسة الأكاديمية الرائدة للباحث عيسى بخيتي كما يتضح في الصفحات المقبلة.

يعرّف وغليسي أدب الرحلة بقوله: " يسمى الأدب المكتوب من وحي الانتقال من مكان إلى مكان، أدب الرحلة أو أدب الرحلات (Littérateur de voyages) بالفرنسية أو (Travel Littérateur) وهو مجموعة الآثار التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة"[17] ثمّ يبين أنّ الرحلة تستعير " هيكلها البنيوي من الحديث والخبر والحكاية والدراما والقصة والمقامة....، وهذا يتعالى أدب الرحلة على الأجناس والأنواع، لينتج نمطا خاصا من أنماط القول الأدبي، وينتخب نصا عصيا على التجنيس."[18] ، فهو يقدم نفسه نصا جامعا لمختلف ضروب القول الأدبي وغير الأدبي كالتاريخ والجغرافيا والدين والتصوف وغير ذلك من المعارف الإنسانية، ما يدفع وغليسي إلى القول إنّه " جماع الأجناس ...بل إنّه ملتقى فنون الكتابة على اختلاف أنماطها وأحوالها وقواعدها."[19] واشتراطها الأجناسية والمعرفية.

يصنف وغليسي الرحلة إلى نثرية وشعرية، وهذا التصنيف شائع، وتفرضه النصوص يقول وغليسي: "وقد تكتب الرحلة نثرا كما هي حال أغلب النصوص الرحلية القديمة بشكل خاص، وقد تصبُّ في قالب شعري، كما فعل الكاتب الجزائري محمد الصالح رمضان (من مواليد 1914) في رحلته إلى بولونيا عام 1955."[20] ولكن وغليسي في كتابه الذي نتكلم عنه يشتغل على نص حديث ضمن الرحلة السياحية، أو ما يصطلح هو عليه (الأدب السياحي) غير أنّه يجترح هذا المصطلح استنادا إلى مؤشر أجناس اعتمده عبد الله ركيبي وذيل به العنوان الرئيسي لنصه حيث كتب أسفله (سياحة أدبية) يقول عن ذلك:" تسعى هذه الدراسة إلى ارتياد أفق أدبي مغاير، يحاول أن يكرِّس الأدب السياحي مصطلحا نقديا جديدا يتموقع إلى جانب مصطلحات أخرى، تقع على المحيط الدلالي لدائرة أدبية واسعة تتخذ من المكوِّن مركزا لها"[21] تنبني على الانتقال منه أو إليه.

تصنيف النص الرحلي لدى سميرة انساعد من خلال كتابها (الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري):

يتميّز الجهد البحثي الذي قدمته سميرة أساعد باشتغاله على صنف واحد من الكتابة الرحلية وهو الرحلات الحجازية، فهي اقتصرت في دراستها "على العلماء المؤلفين في موضوع الرحلة الحجازية النثرية، والذين عاشوا خلال القرون الهجرية الثلاثة الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر."[22] ولكنها قبل الشروع في تحليل النماذج التي اختارتها، تقدم لنا قائمة تصنيفية تضمّ الأنواع الفرعية للكتابة الرحلية، وهي أنواع تختلف باختلاف المعيار المعتمد:[23]

- الرحلة الاكتشافية.
- الرحلة الرسمية (أسفار الملوك والحكام والوزراء والسفراء).
- الرحلة الزيارية (زيارة الأضرحة/ العلماء..).
- الرحلة العلمية (لغرض التعليم/التعلم).
- الرحلة الحجازية (رحلة دينية الغرض منها أداء فريضة الحج).
- الرحلة الخيالية (وهي أماكن متخيلة غير موجودة/أو موجودة لم يزرها الكاتب).

- الرحلة البحرية.
- الرحلة البرية.
- الرحلة الجوية.
- الرحلة الداخلية.
- الرحلة الخارجية.

تصنيف الرحلة لدى الباحث زوهري وليد من خلال مقاله (الرحلات الحجازية الجزائرية):

دراسة الباحث زوهري وليد من الدراسات التي عُني أصحابها بصنف واحد من الكتابة الرحلية هو (الرحلة الحجازية)، وهو بعد تقديم بعض التعريفات الشكلية لصنف الرحلة الحجازية، وحاول تقديم بعض المعايير المعتمدة في تصنيفها من قبيل:[24]

- ✓ أن الرحلة الحجازية تقوم على هدف رئيس هو السفر إلى الحجاز لغاية هي آداء فريضة الحج.
- ✓ أنها تتضمن مواصفات الرحلة عادة بمحدداتها في سفر وانتقال وذكر للصعوبات.
- ✓ التشابه في وصف المناسك وطريقة تأديتها.

تصنيف النص الرحلي لدى الباحثة غربي شمسية في دراستين لها:

خصّصت الباحثة دراسة كاملة وهي عبارة عن كتاب للاشتغال على السيرة في الأدب الجزائري القديم من القرن السابع إلى القرن 12 الهجري، والملاحظ أنّ جلّ النماذج التي درستها كتابات رحلية، بمعنى أنّها تضمنها كتابات (رحلية سير ذاتية)، مثل (فتح الإله ومنته) لأبي راس..، ورحلة الباي محمد الكبير لابن هطال التلمساني[25]، ومن أنماط السيرة الرحلية لدى غربي شمسية ما يلي:[26]

- ✓ المروي (ما يصطلح عليه السيرة الغيرية).
- ✓ الشخصي (السيرة الذاتية مثل فتح الإله ومنته لأبي راس، ولسان المقال لابن حمادوش).

وينتج عن نمط/صنف السير الشخصية:

- ✓ التخصيص (مثل رحلة الباي محمد الكبير، لابن هطّال).
- ✓ الإقليمي: (مثل نص المقري).

في دراسة أخرى للباحثة نفسها؛ وهي عبارة عن مقال، ناقشت بعض أصناف الكتابة الرحلية الجزائرية معتمدة المضمون معيارا أساسا للتصنيف، وتلك الأصناف هي:[27]

- ✓ الرحلة الحربية ونموذجها (رحلة ابن هطّال التلمساني المذكورة سابقا).
- ✓ الرحلة العلمية ونموذجها (فتح الإله لأبي راس)، وهي التي صنفها سابقا ضمن نمط الرحلة السيرية).
- ✓ الرحلة الحجازية ونموذجها (الرحلة الورتلانية للحسين بن محمد السعيد الوتلاني وعنوانها نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار).

ونختم مداخلتنا هذه بدراسة أكاديمية جد مميزة، أخرنا الحديث عنها لأنَّها الأحدث زمانيا مقارنة بالدراسات التي أشرنا إليها سابقا، نقصد رسالة دكتوراه أنجزها الباحث المتميز عيسى بخيتي بجامعة تلمسان خلال الموسم الجامعي 2016/2015 وعنوانها: أدب الرحلة الجزائري سياق النص وخطاب الأنساق.

تصنيف النص الرحلي لدى الباحث عيسى بخيتي من خلال رسالة الدكتوراه خاصته:

يكمن تميز دراسة الباحث عيسى بخيتي في اشتغال صاحبها على مدونة ضخمة؛ من النصوص الرحلية الجزائرية بالإضافة إلى تخصيصه محطات لمناقشة أجناسية الرحلة ومعايير تصنيفها، خاصة وعيه بدور المؤشر الأجناسي في تحديد المهيمنات النصية الذي تساعد الباحث في تصنيف رحلة معينة ضمن نمط/صنف/نوع رحلي فرعي ينتسب إلى الرحلة/الجنس.

يصنف عيسى بخيتي الرحلة الجزائرية تصنيفا تحقيبيا زمانيا؛ فيحدثنا عن:

- ✓ أدب الرحلة الجزائري القديم.
- ✓ أدب الرحلة الجزائري الحديث.

ثمّ يعتمد معيار هيمنة المعطى الرحلي فيحدثنا عن ثلاثة أصناف/أنواع:

- ✓ الرحلة النص التقليدي (النمطي).
- ✓ الرحلة النص المستقل.
- ✓ الرحلة النص المضمن.

وعندما يُعمل معيار الحامل أو السند يورد الأصناف/الأنواع الآتية:

- ✓ الرحلة من خلال المذكرات ويقسمها بحسب هوية صاحبها إلى:
  - مذكرات الأدباء والمفكرين
  - مذكرات السياسيين والمجاهدين.
- ✓ الرحلة من خلال السير الذاتية والتراجم وتنقسم إلى:
  - كتب السير الذاتية.
  - كتب التراجم (السير الغيرية).
- ✓ الرحلة من خلال الجرائد ويقسمها بخيتي إلى:
  - الرحلة المقال وتجمع الأصناف الفرعية الآتية:
  - أ)الرحلات المنضمة.
  - ب)الرحلات التفقدية.
  - ج)رحلات متعلقة بالحركة الجمعوية.
- ✓ الرحلات المنفردة:
  - الرحلات السياحية.
  - الرحلات الذاتية.
  - رحلات الحج.

إنَّ من الجميل في دراسة عيسى بخيتي عنايته بالمؤشر الأجناسي الذي ساعد في تحديد أجناسية النص، وتكاد دراسة بخيتي الوحيدة بين الدراسات التي اشتغلنا عليها أشارت إلى هذه المسألة بالإضافة إلى منجز يوسف وغليسي في كتابه (في ظلال النصوص)، ومن المؤشّرات الأجناسية الّتي لاحظ بخيتي استعمالها على أغلفة النصوص الرحلية الجزائرية:

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

رحلة/سفر/ سياحة/ جولة/ زيارة، وكلّها تتقاطع في الحقل الدلالي المعبّر عن السفر/الارتحال/الانتقال المكاني.

بالإضافة إلى تصنيف النصوص الرحلية، عُني عيسى بخيتي بتصنيف الرحالة أيضا، وخلص إلى ما يلي:

-الرحالون العلماء.

-الرحالون الصحافيون.

-الرحالون المؤرّخون.

-الرحالون السياسيون.

-الرحالون العلماء ورجال الدين، وقسمهم إلى:

-أ- صنف العلماء رجال الدين غير متحزبين.

-ب-صنف الإصلاحيين.

-ج-صنف الطرقيين.

وإذا عدنا إلى تعامل الباحث مع النص الرحلي الجزائري القديم، وهو العمل الّذي مهّد به لرسالته، نجده خلص إلى وجود ثمانية أنواع رحلية هي:

-الرحلة القصيدة: ونموذجها رحلة الوارجلاني يوسف بن ابراهيم بن مناد السدراتي.

-الرحلة الصوفية: ونموذجها رحلة ابن قنفذ القسنطيني (ت810)، ويقول عنها بخيتي "تقوم رحلة ابن قنفذ على خصوصيّة التصوّف الّتي تُعنى بزيارة أضرحة الأولياء، ومراكز التصوّف والتبرّك"[28]، وجليّ أنّ معيار المضمون هو المعتمد هنا.

-الرحلة العلمية السيرذاتية: نموذجها رحلة عبد الرحمن الثعالبي، وتتميّز رحلته بأنّها "رحلة علمية كتبها على شكل نمط السيرة الذاتية"[29] .

-الرحلة الحجازية: وهي أكثر أنماط الرحلة ورودا في الدراسات النقدية، لأنّها أصلا تتصدّر"قائمة الرحلات المختلفة"[30]، ونماذجها لدى بخيتي كثيرة:

-رحلة المقري، وتضمّنها كتابه (نفح الطيب).

-رحلة بن عمار وعنوانها (نحلة اللبيب في أخبار الرحلة إلى الحبيب).

-رحلة الورتلاني وعنوانها (نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار).

-الرحلة العلمية: ويشير بخيتي إلى نموذجين:

-رحلة ابن حمادوش الجزائري وعنوانها (لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال).

-رحلة أبي راس الناصري وعنوانها كما ذكرنا سابقا (فتح الإله...).

-الرحلة الاستكشافية التجسسيّة: ونموذجها رحلة ابن الدين الأغواطي، ومبرّر تصنيفها أنّها ألّفت "استجابة لرغبة خاصة من شخصيّة سياسية تتمثّل في شخص (وليام هودسون) مساعد القنصل الأمريكي في الجزائر"[31].

-الرحلة التقريرية: نموذجها رحلة الباي محمّد الكبير لابن هطّال التلمساني، وهي "رحلة رسمية تحكّمت فيها ظروف وأوضاع، وتوخّت غايات أملتها الحياة السياسية العامة"[32]، كون صاحبها كان مرافقا لقائده الباي محمّد الكبير في حملة عسكرية.

محاولة تركيب:

تجمع دراسات نقدية كثيرة على تواتر أنواع معيّنة من التصنيفات التي تقبل النصوص الادبية التصنيف ضمنها وهي:

- التَّصنيف المضموني ويعتمد أساسا على الموضوع/المضمون (المحتوى).
- التَّصنيف الهرمي و يتميَّزُ بالانتقال من العام إلى الخاص..
- التَّصنيف الإحصائي وهدفه وضع قائمة تحدِّد الأنواع الموجودة.
- التَّصنيف الانتقائي التحليلي وينهض على إجراء مقارنة بين الأنواع المتقاربة بُغية رصد أوجه التشابه والاختلاف بينها.
- التَّصنيف التأسيسي ويُعزى إلى كلّ من تودوروف وجيرار جينيت وأساسه مناقشة السائد من التَّصنيفات سعيا إلى اقتراح تصنيف جديد.
- التَّصنيف من وجهة نظر التلقي.

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

ونستطيع إضافة التَّصنيف التركيبي، أي ذاك الّذي يجمع نوعين أو أكثر في صنف أو اتجاه واحد كالقول مثلا بالرّواية السيرذاتية، بالإضافة إلى التَّصنيف الجغرافي أو الإقليمي، والتَّصنيف الزماني أو التحقيبي.

ولكنّنا من خلال اشتغالنا على النماذج النقدية الّتي اخترناها عيّنة تطبيقية، استطعنا رصد التصنيفات الآتية للنصوص الرحلية الجزائرية:

-التصنيف المضموني، وهو حاضر في جل تلك الدراسات، واستنادا إليه تمّ تصنيف عدد كبير من النصوص الرحلية الجزائرية القديمة والحديثة.

-التصنيف الإحصائي الّذي يعمل الناقد من خلاله على تقديم لائحة إحصائية تضم الأنواع الرحلية الموجودة، مثل صنيع غربي شميسة، وعيسى بخيتي.

-التصنيف التأسيسي الّذي يقوم على مناقشة التصنيفات السائدة ومحاولة اقتراح الجديد، ونموذج ذلك ما قام به يوسف وغليسي عندما اقترح تصنيف نص عبد الله ركيبي (في مدينة الضباب ومدن أخرى) ضمن ما أسماه الأدب السياحي أو الرحلة السياحية.

-التصنيف التركيبي نحو ما ورد لدى بعض أصحاب الدراسات التي اشتغلنا عليها، حيث لاحظنا وجود تصنيفات من قبيل (رحلة سيرذاتية)، و(رحلة علمية سيرذاتية).

ولا يفوتنا قبل إنهاء هذا العمل تبيان بعض التعارض في تصنيف بعض النماذج الرحلية، ومن أمثلة ذلك أنّ الباحثة غربي شميسة تصنّف نص (فتح الإله) ضمن نمط الرحلة السيرذاتية تارة، وتصنفه تارة أخرى ضمن نمط الرحلة العلمية، وكذلك تصنّف رحلة بن هطّال التلمساني ضمن نمط الرحلة الحربية، بينما يصنّفه عيسى بخيتي ضمن نمط الرحلة التقريرية، بالإضافة إلى اختلافات أخرى كثيرة من شأن دراسات مستقبلية وضع اليد عليها، خاصة وأنّ موضوع نقد الرحلة في الجزائر موضوع خصب وبكر لا يزال إلى الآن في حاجة إلى العديد من الدراسات التعريفية والنقدية التحليلية التصنيفية.

الهوامش:

1- مجموعة من المؤلفين، معجم السرديات، إشراف محمد القاضي، دار محمد علي للنشر –تونس، ط1 ، 2010.ص30، ويراجع أيضا : رالف كوهن، التاريخ والنوع، ضمن : القصّة الرّوائية المؤلف، ، ترجمة وتقديم خيري دومة، مراجعة : سيد البحراوي، دار شرقيات للنشر والتوزيع –القاهرة، ط1، 1997 ص25.

2 -ميشال كلّوفينسكي، الأجناس الأدبية، ترجمة : ياسين ساوير المنصوري، مجلة نوافذ، النادي الأدبي الثقافي بجدة، العدد 38، نوفمبر 2007، ص35.

3- سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ، دار الكتاب العربي -لبنان ، وسوش برس- الدار البيضاء المغرب، ط1، 1985، ص223، ويُراجع التعريف نفسه -تقريبا في الجزء الأوّل منه- ضمن : محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة ومعجم)، الشركة المصرية العالمية للنشر-مصر، ط3، 2003، ص37.

4- تزفيطان تودوروف، ميخائيل باختين المبدأ الحواري، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-لبنان، ط2، 1996، ص158/157.

5 -إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين -تونس، د ط، 1986، ص125.

6 -جان ماري سشيفر، ما الجنس الأدبي؟، ترجمة غسان السيد، اتحاد كتاب العرب -دمشق، د ط، دت، ص15.

7 -دوغلاس غلوفر، الرّواية كقصيدة شعرية، ترجمة : الجيلالي الكدية، مراجعة : حميد لحميداني، مجلّة دراسات سيميائية أدبية لسانية (سال)-المغرب، العدد : 05، خريف (شتاء1991) ص36.

8- ينظر: لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرّواية، مكتبة لبنان ناشرون -لبنان، ط1، 2002 ص67، ويراجع : -باتريك شارودو ودومينيك منغنو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا للنشر والتوزيع-تونس ، د. ط ،2008 ص574، ودومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن ، الدار العربية للعلوم -ناشرون بيرون ومنشورات الاختلاف الجزائر-الجزائر ، ط1، 2008 ص67/66.

9 -عبد الله ركيبي، تطوّر النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي-الجزائر، دط، 2009، ص 55.

10 -المصدر السابق، ص 57.

11 -نفسه، ص 57/56.

12- ينظر، ن، ص 76.

13 -محمّد مصايف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب-الجزائر، دط، 1983، ص 133.

ISSN: 2352-9830, EISSN: 2600-6898

14 -عمر بن قينة، الخطاب القومي في الثقافة الجزائرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب-دمشق، دط، 1999، ص 07.

15 -أحمد بن هطّال التلمساني، رحلة محمّد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، تحقيق وتقديم: محمّد بن عبد الكريم، تصدير: أبي القاسم سعد الله، عالم الكتب-القاهرة، ط1، 1969، ص 10.

16 -محمّد أبو راس الجزائري، فتح الإله ومنّته في التحدّث بفضل ربي ونعمته، تح: محمّد بن عبد الكريم، تصدير أبي القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنيّة للكتاب-الجزائر، دط، 1990، ص 07.

17 -يوسف وغليسي، في ظلال النصوص (تأملات نقدية في كتابات جزائرية)، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص.277.

18 -المصدر نفسه، ص.278.

19 -المصدر نفس، ص 279.

20 -المصدر نفسه، ص.278.

21- المصدر نفسه، ص.272.

22- سمير انساعد، الرحلات الحجازية في الأدب الجزائري من ق 11 إلى ق13 هجرية، الوكالة الأفريقية للإنتاج السينمائي والثقافي، الجزائر، ط1، 2011، ص.18.

23- السابق، ص.15.

24- ينظر زوهري وليد، الرحلات الحجازية الجزائرية، مجلة القلم وهران، العدد 23، يناير 2012، ص 308.

25- ينظر: غربي شمسية، السيرة في الأدب الجزائري القديم دراسة في البناء والأنماط، طبع من طرف المؤلفة، (دط)، 2010، ص...

26- ينظر: السابق، ص.2.

27 - ينظر: غربي شمسية، من التراث الجزائري الكتابة الرحلية خلال الفترة العثمانية، مجلة الرقيم، العراق، العدد13، السنة صيف 2016، ص ص72/62.

28- عيسى بخيتي، أدب الرحلة الجزائري الحديث سياق النص وخطاب الأنساق، رسالة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2016/2015، ص 25 (نشر العمل لاحقا في كتاب ضخم بالمغرب الأقصى).

29 -السابق، ص 275.

30 -نفسه، ص 31.

31 -ن، ص 42.

32 -ن، ص 43.

*** *** ***